**حافظ الشيرازيّ؛ شاعر الإنسانيّة مكرما في بعلبك**

**روضةِ وردٍ شيرازيّةٍ تخرج من قلب الزمان والمكان لتحلَّ في يوم حافظ الشيرازي في مدينة الشمس،**

في جوٍّ خريفيٍّ أضفَت عليه الشمسُ المسائيّةُ دفئاً خاصاً، وفي بقعةٍ مزدهرةٍ بالأشجار والورود، تُحيطُ بها قفارُ مدينةِ بعلبكَ المعروفةِ بجفافها فكانت مثلَ روضةِ وردٍ شيرازيّةٍ خرجت من قلب الزمان والمكان لتحلَّ في يوم حافظ الشيرازي في مدينة الشمس، حيث أقامت المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان احتفالاً بهذه المناسبة العالمية، في ندوةٍ جمعَت بين الحضور الحقيقي والافتراضي، فكانت مشاركاتٌ حضوريةٌ لثًلّةٍ من رواد وأساتذة الأدب الفارسي والعربي منهم الشاعر الكبير الدكتور محمد علي شمس الدين، إضافةً إلى مشاركاتٍ مهمةٍ عبر الفضاء الافتراضي، احتفاءً وتقديراً لشاعر العرفانِ والغزل الفارسي حافظ، واحتفاءً بالأدب والشعر والحضارات والتاريخ.

إذن في يوم تكريم شاعر العرفان والغزل "حافظ الشيرازي" وتخليدًا لذكراه، نظمت المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان ندوتها الافتراضية بعنوان "حافظ الشيرازي؛ شاعر الإنسانية" بحضور ومشاركة ثلّة من الذين تغنّوا بشعر حافظ وتأثّروا به، وكتبوا عنه و أدرات الندوة الكاتبة الروائية أمل ناصر ناصر.

بداية تحدث المستشار الثقافي للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان الدكتور عباس خامه يار والذي وجّه تحيةٌ للحضورِ و الأساتذة والأدباء المسدشاركين، وخص بالتحية الشاعر الكبير الدكتور محمد علي شمس الدين وأهالي بعلبك .

 ومما جاء في كلمته :

 تحية لمدينة بعلبك التي عهدناها حاضنةً لكلِ نشاطٍ ثقافيٍّ تكريميّ، لا سيما في هذه الأيامِ والشهورِ التي غلبَ عليها الحَجرُ والانعزال.

أما اليوم، فإننا نحتفلُ بالعارفِ وشاعرِ إيرانَ الكبير حافظ الشيرازي. هذا الشاعرُ العرفانيّ الذي اعتبرَهُ الفرسُ قديماً ولياً من أولياءِ اللهِ الصالحين، الذينَ جمَعوا الغزلَ والعرفان والقرآن معاً، فكانت قصائده وغزلياته أشبه بالمناجاة والاستخارات حتى راح الإيرانيون حتى اليوم يتفألون بديوانه الشعريّ، المرفق بتفسيرٍ مفصّل لكل بيت.

تابع الدكتور عباس خامه يار يعدّ حافظ اليوم واجهةَ إيران الثقافية وعنوانَها التعريفيّ. نحن نقرأُ حافظ بل نحفظُه ونردّدُ أشعارَهُ في قضايا الحبّ والإنسانِ والضميرِ والوطنِ وحب الله والإخلاص والإشراق. ونقتفي من ديوانِه أثراً يخلّصُنا من التردّد والحيرة ويرشدُنا إلى نورٍ ما. ربما لأنّه كان حافظاً لكتاب الله أولاً ورجلاً من الصالحين المخلصين. فضلاً عن كَونِه رائدَ الغزلياتِ الشيرازية التي عُرِفَ باختتامِه الأبيات دائماً مخاطِباً "حافظ" .كما لو كان يبدأ بالنصحِ والإرشاد من نفسِه، ويكون حافظ بذلكَ كلَّ الناس، لأنه يشعرُ بكل الناس.

 اضاف الدكتور عباس خامه يار "هو ابنُ إيران البار المعروف بشاعر الغزل ولسان الغيب وترجمان الأسرار أو مَحرمُ الأسرار العاشق الذي اشتهرت عنه مقولة أنّ من يرغبُ بكشفِ سرٍّ ما من حياتِه عليه أن يقسمَ على حافظ بمعشوقتِه التي تسمى "عود النبات" فهو كاشف الأسرار بالنسبة إلى عشّاقِه وهم جمهورٌ واسعٌ عبر العالم أجمع وليس فقط في إيران"

واكد الدكتور عباس خامه يار على إن غزليات حافظ هي خليطٌ من الفلسفة والعرفان والخمرة والعشق والهوى والتقاليد والعادات فقد استطاع هذا الشاعر أن يصنع من هذه العجينة أجمل اللوحات فتراها تعزف وتغني وهي صامتة.

لقد حفظَ القرآنَ فسميَ حافظ، وكتبَ لنفسه بين السطور مخاطِباً

"أیا حافظ بحقّ القرآن علیك أن تترك الأضواء والبهرجة، لربّما تأخذ قسطاً من العیش الرغید في هذا الوقت"

هنا يتجلى قربه من معشوقه الأبديّ – الله عز وجل- وروحانيتُه التي كانت حاضرةً خلال نظمِه لأبياتِ الغزلِ والعشق فهو يفكر بآیات القرآن الکریم کما یفعل مع أبیاته الشعریة.

 وقال الدكتور عباس خامه يار" تُعتبر هیکلیة الأشعار الغزلیة لحافظ والتي تتمیّز أبیاتها بالاستقلال والتنوّع والتحویلات أکثر من أيّ أشعار غزلیة أخری، بما فیها أشعار الغزل الفارسیة التقلیدیة، متأثّرة بهیکلیة السور والآیات القرآنیة الکریمة.

ويرى البعض أن كلمة (العشق) التي اتخذها حافظ إطارًا لشعره لم تكن وليدة إحساس آني أو تأثير عاطفي عابر، بل هي من أسماء الجلالة، فيعتبر العشق غاية الكمال الإنساني لأن الإنسان يرتبط بمعشوقة روحياً، وإن عجينة الإنسان الأساسية هي (العشق) أي أن طينته عجنت بشراب (العشق) وأن جميع الموجودات في العالم خلقت من أجل أن تعشق وتحب ولو لم يكن العشق لما بقي شي اسمه الطلب والتمني".

هرگز نمیرد آنکه دلش زنده شد به عشق ثبت است بر جریده عالم دوام ما

وترجمته: لن يموت أبداً من يعيش على العشق الدائم ولذلك فاستمراريتُنا ثبتت في صحف العالم.

ختم الدكتور عباس خامه يار كلمته قائلا "لقد ترك لنا حافظ ثروة أغنى بها الأدب الفارسي والعربي بل العالمي حتى. فديوانه هو بمثابة حافظتِنا المكتوبةِ وعصارةِ فكرِنا وثقافتِنا ومرآةِ ذهنِنا وكذلك وجدانِنا.. وهو الكأسُ الذي يحكي للمتأمل بشرابِه عن ماضيه وحاضرِه ومستقبلِه.. ففي شعرِه البسمةُ والدمعةُ.. القهرُ والمحبة.. الخيبةُ والأمل. لقد نالَ شعرُ حافظ إعجابَ العديدِ من كبارِ روادِ الأدبِ والفكرِ في العالم فأكرموه حتى أصبحَ شاعرَ كلِ العصورِ والأزمنة . وقد وصفَ رائدُ الأدبِ العربي الأولُ الأستاذ المرحوم طه حسين ديوان حافظ ب(زهرة الشعر الفارسي)قائلاً إنه أثرٌ قيِّم.

 والمفكر الكبير نيتشه الذي انحنى لحافظ إجلالا وإكراما وقال مخاطباً إياه

فإنك أنت الخمرُ وقد أسكرتَ العالمَ أجمع

فلماذا كلُّ هذا الحديثِ عن الخمرة؟

وغوته شاعر الغرب الذي جن جنونه بعد أن قرأ شعر حافظ وهام عاشقا حتى أخذ يطلق عليه اسم (حافظ المقدس) كما أعرب عن أمله بأن ينتهج الأدباء مسلكه وكتب مخاطبا إياه:

جاذبيتكَ سحرَت وجوديَ المتوهجَ فجذبَتني.

من جهته القى الشاعر د. محمد علي شمس الدين كلمة بعنوان "حافظ الشيرازي شاعر الحكمة، صلة وصل مع شعره" , بدأها بمدخل بعنوان" المصالحة بين الزمان والحرية" و"موسيقى رؤية قلبك داخل صدرك الشفّاف مثل زمردة في الماء".

في هذا المقطع من شعر حافظ الشيرازي، قال الشاعر د. محمد علي شمس الدين

"على اصل الرؤيا لديه ن فالاصل هو "القلب" والكشف عنه في المكتن الشفّاف " الصدر". بل هنا أساس الحكمة في كلمات هذا الشاعر الاسلامي العظيم، الذي يعتبر في الشعر الفارسي بخاصة، والشعر الانساني بعامة، من الاكثر صفاءً ونفاداً في النفس البشرية .

اضاف الشاعر د. محمد علي شمس الدين إن فتح النوافذ بين إنسان وآخر، بمعزل عن لونه وعمره، لغته ومعتقده، من خلال هذا النصّ، ربّما أعطى اشارة مبكرة، في الزمان التاريخي لما سُمي في العصور الحديثة " حوار الحضارات"، أو لشرعة حقوق الانسان التي كُرست في الامم المتحدة بعد الحروب الكونية والنزاعات المريرة. فإن روح اشعار حافظ الشيرازي وجوهرها يحتملان مثل هذا التأويل

لقد جاء شعر حافظ بمثابة زبدة شعر الحكمة بعد اشعار كل من الرودكي وجلال الدين الرومي ( مولانا جلال الدين) ، الذي كان في المثنوي خاصة، صوفيا تعليميا، وسعدي الشيرازي ، وسواهم ممن أسسوا للمعاني العرفانية أو للنهج العرفاني في الشعر الفارسي... مع ملاحظة تمتع هذا الشعر بالبساطة والعمق في وقت واحد، وتناوله موضوعات تتعلق بالحب والمرأة والخمر والشباب، في سديم من عرفانية دينية بيضاء، كانت تتحرك في شعره خارج منطقة الخوف الالهي ، بل تحت مظلّة " الرحمة والغفران" ... فصورة الاله في غزلياته هي صورة الرحمن الرحيم أكثر مما هي صورة الجبّار المُنتقم.

وثمة من يعتبر حافظ الشيرازي أقرب للعرفاني منه للشاعر ، من حيث أن العرفانية أو العرفان مقام أعلى من مقام الشعر.

لقد انشد جلال الدين الرومي شعره انشادا قال الشاعر د. محمد علي شمس الدين "كان الناي اساس صنيعه الشعري ، لكنّ حافظا هو شاعر حكمة بامتياز، وللحكمة هنا معنى يتجاوز ظاهر الحلال والحرام في الشريعة ، ويتجاوز ايضا أحكام العقل وترتيباته .... بأي نوع من الحكمة والمعرفة إهتمّ العرفانيون؟ نسأل ونجيب: لقد أسسوا معانيهم على أصل الحكمة في القرآن الكريم " سورة الكهف" و " حديث قدسي" ،فهناك في هذه السورة 15 آية يختلف فيها نوع الحكمة كلّيا عمّا في الذكر الحكيم ، هنا نجد حوادث وظواهر تتجاوز في كنهها ترتيبات العقل وظواهره ، وتغوص الى أصل الحكمة . ان هناك مايمكن تسميته بــ " موطن الاسرار" في الكون وفي القلب البشري معاً

ولعل بيت الشعر التالي المحتمل للتأويل للخمرة يقرّبنا من هذا المعنى:

فلما شربناها ودبّ دبيبها الى موطن الاسرار قلت لها قفي

فاشعار حافظ الشيرازي تطلع من " موطن الاسرار" وتصبّ فيه ولاتنال الّا بالمكاشفة والذوق... ففي " موطن الاسرار" الحب، العمق، الشمولية وتماهي التناقضات ، وانصارها في مرجل الحب " لقد استطاع حافظ ، كما فعل جلال الدين الرومي في المثنوي " وفريد الدين العطّار النيشابوري في " منطق الطير" ، وعمر بن الفارض، أن يصالح بين عمق النظرة الاسلامية للشعر وشموليتها المتمثلة بالزمان، أن يجعل من الشعر الديني الاسلامي شعراً انسانياً اهتمّ به " غوته" شاعر الالمان ، و"فيكتور هوغو" الشاعر الفرنسي و " طاغور" شاعر الهند ، فضلا عن اهتمام العالم بأكمله به شرقا وغربا ، وذلك من خلال وحدة الالهة المُعبر عنها بعبارة " لا اله الا الله" ووحدة الوجود ، فتفترش الامكنة والازمنة والكائنات والاحوال والمظاهر على اختلافها، من دون استثناء ... فــ " اينما تولّوا فثمّ وجه الله إن الله واسع عليم " ( البقرة آية 115)

فهل يسستثنى الوَثَن أو بيت المجوس ونارهم أو الحانة من ذلك؟

إنه سؤال وهو مجلى التوحيد العرفاني لامجال فيه لاثنينية ولا ثنوية مجوسية ( اهريمن \ اهور مزدا) أو دينية أو فلسفية ( الله \ الشيطان ، بيت الله\ بيت الشيطان ، المسجد \ الحانة ... اللاهوت \ الناسوت ... الخ) ... فكله لاهوت ويغدو كل مكان أو مقام أو اسم أو شئ في الوجود مشمولا بوحدانيته ، مثلما تغدو الخمرة وبيت النار والحانة والوَثَن غير خارجة عن هذه الوحدانية".

وتابع الشاعر د. محمد علي شمس الدين "وهذا المدخل ضروري للشعر العرفاني بشكل عام، ولفهم اشعار حافظ الشيرازي بخاصة، فهي أشعار تتعدّى بمراميها الظاهر ، وتتعامل مع الرمز اللامحدود وبالتالي مع الحرية

الى جانب هذا الجاذب الروحي الذي شدّ اهتمامي يحسن بي ان اذكر جانبين آخرين هما موقع حافظ الشيرازي في الثقافة الايرانية القديمة والمعاصرة، وجاذب ذاتي صنعته المصادقة

فلحافظ موقع بل مقام في الثقافة الشعبية اليومية للايرانيين، فبه قد تأثر جميع من كتب شعرا عرفانيا في تلك البلاد، من سعدي والعطّار النيسابوري وصولا للامام الخميني. ويُطبع ديوانه طبعات كثيرة مُمَيزة من حيث اخراجها، وخطّها المُنّمَق الذي اشتهر به الخظ الفارس، وزخرفها ... بل لاحظت أن اخراج ديوانه في الشكل ، مشابه تماما لإخراج آيات وسور القرآن الكريم. والايرانيون على كلّ حال يستفتحون بديوان حافظ ، كما يستفتحون بالذكر الحكيم، معنى ذلك أنّ للشاعر مقاما مقدّساً في ضمير الايرانيين".

اما الجانب الذاتي الذي صنعته المصادفة فقال الشاعر د. محمد علي شمس الدين " فيتمثّل في وحدة اسمَينا ، فهد شمس الدين محمد ، وأنا محمد شمس الدين.

وقد لُقِب بحاقظ بسبب حفظه للقرأن الكريم ، وهو عمل عجّاناً قبل ان يعجن الشعر.

وانا اكتفيت بعجن الشعر وحده ، كم أننا نتشابه في استقلال كلّ منّا، مع تفاوت الامكنة ، والازمنة ، والاحوال ، عن السلطة السياسية الآمرة مهما كان اسمها ، لسببين الشغف بالحريّة والاعتداد بالشعر.

نُسب حافظ الشيرازي الى مسقط رأسه ومدينته شيراز في بلاد فارس ، التي يُنسَب اليها سعدي أيضا، وأخرون كما لُقب بــ " لسان الغيب وترجمان الاسرار" ، منحه هذا اللقب الشاعر الفارسي " جامي"...

وإن شعري على الاجمال إنما ينطلق من نقطة ما، في الغيب كائنة بين القلب والعالم ، فانا شاعر ديني وميتافيزيك، وأعتبر أن الشعر " جرح من أقدم جروح الغيب" ، ثم إنه لكل امرئ من اسمه نصيب كما اثر عن الرسول الاعظم.

هذه الاسباب وسواها مما لا استطيع ذكره ، وبعضها يتعلّق بالاحلام والرؤيا جعلتني، أهتمّ بحافظ الشيرازي ، اما هو تعريفا موجزا ، فهو ابرء شعرء’ ايران العرفاني ، من حين ظهوره في القرن الثامن للهجرة ، الرابع عشر للميلاد الى يومنا هذا (723 ـ 792)( 1315 ــ 1390) ) بالتقر يب.)

وشدد الشاعر د. محمد علي شمس الدين على ان "كتب اشعاره الرقيقة في الحب والخمرة والطبيعة بنبض عرفاني ، في زمن وحشية التتار والمغول وزحفهم الكاسح على العالم الاسلامي ، فكان ترجمان الضمير الاسلامي الانساني العميق اللطيف في مواجهة قسوة ووحشية التتار. وهو في ايامنا هذه، وبعد مرور حوالي سبعة قرون على ولادته، مازال حاضرا في شعره وواجب الحضور اسلاميا في مواجهة التترية المعاصرة المتمثلة بالوجه البشع للثقافة الاميركوــ صهيونية.

واقنعتها المتعددة من اسلامية وعربية وعالمية ، وما تمارسه على الشعوب والافراد من قهر وارهاب.

حافظ الشيرازي بين الواقع والمجاز:

لقد أُختُلِف في حافظ الشيرازي وفي شعره أثناء حياته وعند مماته .... حتى ان الفقهاء تسائلوا امام جثمانه ، أين يُدفَن؟ أفي مدافن الاولياء والاخيار، ام في مدافن اللاأخيار ؟ وهل خمرته وحانته ووثنية اشعاره ومجوسيته وبيت النار وشيخ المجوس .. التي يحتشد يها شعره ، هي حسيّة حقيقية ـ ام هي رمزية ومجاز .. وهل يتصدّى بها الظاهر ام الباطن ؟ وتقول الحكاية حول الاختلاف في امره ودفنه ، ولعلها بدورها رمزية كشعره . إن الفقهاء اوقفوا الجنازة في عرض الطريق، لينتهوا الى حلّ في شأن حاقظ ، وإنهم للخروج من حيرتهم استقرأوا احد أبياته( كيفما اتفق) ليفهموا مراميه ، ويعملوا تبعا لما يُمليه ، فوقعوا على قوله ( وكأنه يخاطبهم من وراء الغيب) :أيها المختلفون في جنازتي اعلموا أني غرقت في الخطايا ، إنما طريقي الى الجنة ، فصحّ لهم صلاحه ودُفن في مقابر الاخيار . والحال أن قبره الان ، ومن مدّة طويلة ، يشكل مزارا شعبيا ، ويُحاط بدائرة من القداسة ، شأنه شأن الاولياء واصحاب الكرامات.... كما أن تمثاله النصفي موجود في حديقة الشعب في طهران " بارك ملّى" مع تماثيل عظماء الشعراء والعلماء والفلاسفة الايرانيين.. ولعل في هذه الحكاية المروية عن الاستفتاء بشعر حافظ في يوم دفنه ، الاصل الشعبي المستمر لغاية هذه الايام ، للاعتقاد بفأل الرجوع لاشعاره ، وهذه الاشعار موجودة تقريبا في كل بيت ايراني".

و اعتبر الشاعر د. محمد علي شمس الدين "إننا لانستطيع أن نبعد عن هذه الاشعار روائح مكانها وزمانها وتاريخ صاحبها ولغته ، نعني بذلك تاريخ ايران لما قبل الاسلام ، فضلا عن هويتها الدينية الاسلامية.

إن شعر حافظ الشيرازي الذي لم يُجمَع الابعد مرور عشرون عاما على وفاته ، هو شعر معان ومفرىات إسلامية وقرآنية ، وتتخلله احيانا بعض مفردات العربية التي كان يُحسنها ، حيث ترد عبارات العبادة والتوحيد والصلاة والزكاة والصيام والطواف والزهد والانابة والرسول والصحابة ..... الخ ، فضلا عن الرموز المستلّة من القصص القرآني ، كقصة يوسف وسليمان وموسى وعيسى ومحمد"ص" ، وحكايات الانبياء والمرسلين والطور وسيناء وما الى ذلك.

إلا أن هذا الشعر في الوقت نفسه ، هو شعر المكان الفارسي والتاريخ الفارسي واللغة الفار سية بإمتياز ، فقد داخلت رموز فارسية تاريخية من العصر الساساني الوثني بخاصة. فوردت اسماء جمشيد وتخته الشهير ، والكأس التي قيل أنه يقال إنه كان يشرب منها الشراب، ويتملّى وهو ينظر الى داخلها احوال العالم فيها او من خلالها " جام جم" اي جام جمشيد ، او كأس جمشيد .... كما يرد ذكر المجوس وبيت المجوس وشيخ المجوس ونارهم وأوثانهم وعباداتهم وأسماء العشاق الفرس التاريخيين مثل " شيرين وفرهاد" على غرار ليلى وقيس ( المجنون) ، فضلا عن فخامة وابهة هذا التاريخ السابق على الاسلام . ولاننسى طبيعة النهضة الايرانية فقد انعكست بجمالها واعتدالها وورودها وبلابلها وحسناواتها، وما كان فيها من متعة وانس بالوجود وشرب الخمرة واماكنها وحاناتها على اشعار حافظ. وقد اشار " ابو الطيب المتنبي" الى هذا الجمال في الطبيعة بقوله في شعب بوّان:

يقول بشعب بوّان حصاني امن هذا يُسار الى الطعان

ملاعب جنّة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

ابوكم آدم سنّ المعاصي وعلّمكم مغادرة الجنان

من هذا المزيج الغريب الخاص ، التاريخي والطبيعي والاعتقادي ، جُبِل شعر حافظ الشيرازي جبلته اللطيفة . فهو شعر تعبّد اسلامي بأدوات من تاريخ وثني ومن غنّاء وطقوس خمرة وشراب ، وبلغة وموسيقى وزينة عابرتين للعصور ... إلا أن روحانيته الاسلامية وجوهر الحبّ الذي ينطوي عليه، يطهران مايلوح للناظر من شوائب الظاهر ، من اجل ذلك سُمي هذا الشعر شعرا عرفانيا ، ولم يُنبَذ أو تلحقه الادانة في بلادٍ دين دولتها هو الاسلام.

ملاحظات حول القصائد التي قمنا بتعريبها

اما القصائد التي قمنا بتعريبها من حافظ، وعددها خمس وسبعون قصيدة مختارة، ظهرت في الطبعة الاولى الصادرة العام 2005 عن اتحاد الكتّاب اللبنانيين بعنوان "شيرازيات" ، فقد اضفنا اليها تسع غزليات اخرى في الطبعة الثانية لشيرازيات.الصادرة عن دار الامير العام 2017 ، مع مقدمة صغيرة للطبعة الثانية المزيدة. لقد استندنا في عملنا الى جوهر المعنى في اشعار حافظ ، وهو جوهر مأخوذ من غزلياته في الفارسية ، وترجماتها الى العربية ، نخص بالذكر منها ما قام به الدكتور ابراهيم امين الشواربي في ترجمته لديوان حافظ الشيرازي في طبعته الصادرة للمرة الثانية العام 1999عن " مهر انديش للنشر في طهران" وكانت الطبعة الاولى صدرت العام 1944 في مصر مع مقدمة جليلة للدكتور طه حسين. إلا أن من يقرأ أشعار الشاعر في لغتها الام ( الفارسية القديمة) وفي ترجماتها للعربية ، بما في ذلك ترجمة الدكتور الشواربي ، سيدرك تمام الادراك أن ما قمنا به هو " تعريب" لبعض غزليات حافظ وليس ترجمة لها ، والفرق بين التعريب والترجمة فرق شاسع في نظرنا ... فقد تصرّفنا تصرّفا ملحوظا في التفاصيل ، وسكبنا جوهر المعنى في إناء العربية بكل مافيها من بلاغة واصول وخصوصية لغوية وتطوّر، كما أضفنا إضافات شتّى من تضمين لأبيات شعرية عربية غير موجودة في الاصل الفارسي، واوجدنا عناوين للقصائد وهي في الاصل بلا عناوين ، بل وردت القصائد تحت عنوان واحد وهو" غزل".

اضيف ماهو أخطر من ذلك .. وهو أننا كتبنا هذه القصائد بإحساس ذاتي شعري خاصٍ غير مفصول عن وجدان حافظ الشيرازي ، لكنه يخصّني بقوة بمقدار ما يخصّ حافظا ، فانتابني من هذه المشاركة الوجدانية إحساس بأنني " ولدت مرّتين".. إلا انني حافظت على الجوهر ولم أحد عنه ، وآثرت أن أُسّمي المجموعة بكاملها" شيرازيات" تذكير بحافظ الشيرازي ، وهذه القصائد المقرّبة تُهدى اليه.

وختم كلمته الشاعر د. محمد علي شمس الدين بالقول:

إنه صنيع خطير وممتع . وأعترف بخيانة كانت ضرورية لكتابة شعر على الشعر ونصوص جديدة على نصوص قديمة لحافظ. ومن يعرف اللغتين الفارسية والعربية ويقرأ قصائد كل من حافظ وقصائدي يدرك مقاصد ما اقول.

مجمل القصائد وعددها 573 منظومة غزل ، تركها الشاعر ( تبعاً لنسخة الشارح البوسنوي " سودي" بالتركية) نشرها في القرن السابع عشر الميلادي ، وترجمها الى العربية مباشرة عن الفارسية ابراهيم أمين الشواربي ( كما سبقت الاشارة اليه).

 عاش حافظ الشيرازي في القرن الثامن للهجرة ، الرابع عشر للميلاد، وشهد الاجتياح المغربي لبلاد الاسلام ، ولد في شيراز ودفن فيها وقبره في الحافظية ، معروف يرفعه اهل شيراز ومعظم الايرانيين اليوم الى مرتبة عالية في القداسة . يستنتجون بشعره أيامهم ويحيطون قبره بالكرامة والتبرّك ، والارجح أنه كان على المذهب السّني ، اذ ان التشّيع لم يكن سائدا في ايران . الا انه اقرب للزهد الصوفي منه للتدين ، كما أن هناك بصمات من عمر الخيام السابق عليه على شعره كناحية الخمرة والحبيب والتمتع بجمال الطبيعة.

لكن روحه ليست عدمية كما هي حال الخيام، وليس عنده الم العقل الممضّ الذي عاش منه اعمى ال... .

ولعل تصوفه من الرشاقة واللطف بحيث استغوى الشباب في عصره وفي جميع العصور. وأغوى بشعره الغربيين ( غوته الالماني) ، كما اغوى الشرقيين ( الفرس والاتراك بخاصة) . أما اثره العربي فظل خفيفا حتى ايامنا هذه. واهمية شعره تأتي من أ"ن هذا الشعر قائم على صوفية الحبّ الذي يجمع ولا يُفرّق أو يُدّمر ، وعلى التمتع بملذات الوجود المرموز اليها بالخمرة والروض العالم والخدّ الجميل والقد النحيل للمرأة. كان حافظ يدرك مقدار فتنته للناس وهو في سلاحه الصوفي الهادئ ، عاش بعيدا عن توتر الصراعات الدينية والمذهبية في زمنه. وعن صراعات الحكّام والورثة على السلطة ، يصفهم بانهم أسرة نكدة الحال ، مفككة الاوصال ( ويقصد آل المظفر) الذين قضى عليه تيمورلنك في غارته الثانية على شيراز.

شعر حافظ بسيط ، لكنه خطير، وشخصه كذلك مع ما روي من حوادث وحكايات . يدّعي أنه رأى علي ابن ابي طالب "ع" في المنام، فقدّم له الزاد السماوي ، لكنه يُضمن في شعره أبياتا خمرية وغزلية من يزيد ابن معاوية في قصيدة " ادر كأسا وناولها ألا ايها الساقي".

وهو شاعر اشكالي كتب غزله الكثير في المنطقة الرماديّة بين المجوسية والاسلام ، ففي شعره تكثر مفردات الارث الساساني القديم السابق على الاسلام كبيت النار وشيخ المجوس وجام جم او جام جمشيد، كما ينعقد هذا الشعر على الخمرة والصنم ، لذا اُتهم بالزندقة ، ولكنه ايضا يكنز فيه مفردات قرآنية من قصص الانبياء والزهد والتوبة وذكر الله .. والجمع بين هذه العناصر في الشعر يوّلد كيمياء جديدة وغريبة ، فانت ترى الارث الساساني الفارسي القديم وجمال ورود شيراز وجمال نسائها، كلّ ذلك مجموعا الى جانب التوبة والعشق والرضا والقناعة ، وقصة يوسف والخضر وموسى وسائر قصص الانبياء... فمن هو معشوق حافظ ياترى ؟ وماهي خمرته؟أهي الحقيقة الحسّية ام المجاز المقصود به الله؟ أم كان له من هذا نصيب ومن هذا نصيب آخر ؟ فحيّر منه العقول ، وقد حسم هذا الشك بقوله" " لقد غرقت بالاثم لكن طريقي الى الجنّة

" .

بعدذلك قرأ الشاعر د. محمد علي شمس الدين قصائد من أشعاره .

 **قصائد غزل حافظ الشيرازي**

**(الف) غزل التيه " الى سيد المقاومة**

 يمشي على الموت تيّاها كأنّ

 من الالهة سرّاً ليس يخفيه

 يمشي الهوينا وقتلاه تمجّده

 كأنما كلّ مايريده يحييه

 يعلو على الغيم احيانا وابصرهُ

 يدنو ليصبح أدنى من معانيه

 أعطيته كلّ ما اوتيت من نعم

 وما ندمت ، فألقني على التيه

**(ب) لو بائع الراح**

 لو بائع الراح بالقسطاس وزّعها

 لكان أقرب من غفران مولاه

 عدل الشراب اساس في شريعتنا

 فمن تملكه تُمحي خطاياه

 إنّي ظمئت فمن يأتي بساقية

 من الشريعة يرويني بها الله

 يا مسمعي صوت من اهدى ويقتلني

 كلٌّ يغنّي على بلواه " ليلاه "

 قل ماتشاء ولكن سمّ جارحة

 من الطيور وذكّرها ببلواه

 " إنّ الصون التي في طرفها خورٌ"

 قتلنه .... ثم لايحيين قتلاه

**(ج) رأسي يدور**

 رأسي يدور على مارقّ من جسدي

 حتى كأن به مسّ الاساطير

 أو انني كرة في كفّ حاملها ....

 ألقى بها الله في ارض المقادير

 لاتشرب الراح من دنّ بلا شغف

 ولاتسلّم عليه غير مخمورِ

 فالله اودع فيما كان من خبرٍ

 سرّ الخليقة في كأس من النور

 حتّى اذا مسّها موسى على عجل

 والبرق خاطبه من جانب الطور

 وصبّ عيسى على الموتى سلافتها

 كأنّما صبّ فيها نفخة الصورِ

 جاءت الينا على ساقين حاملةً

 . ماء الحياة بأحشاء القواريرِ

الكلمة التالية كانت من ايران للشيخ محمد حسين مهدوي مهر ـ رئيس جامعة المصطفى العالمية في لبنان وسوريا بعنوان "حافظ والانتظار".

فقال :كَمْ أَنْبتَتْ أرضُنا طَوالَ تاريخِها مشاهيرَ العُشَّاقِ وُروداً عطَّرَتْ بِعَبَقِها صفَحاتِها لعصورٍ؛ ومنهم شاعرُنا الكبيرُ حافظُ الشيرازيُّ الذي يقول:

حافظ - غزل شمارهٔ ۳۹۳

منم که شهره شهرم به عشق ورزیدن

منم که دیده نیالوده‌ام به بد دیدن

مبوس جز لب ساقی و جام می حافظ

که دست زهدفروشان خطاست بوسید

أنا هو المشهورُ في المدينةِ بالعشقِ

أنا الذي لم أُلَوِّثْ العينَ بمنظَرِ السوءِ

لا تُقَبِّلْ غيرَ شَفَةِ الساقي وكأس الخمر

إعلم ياحافظُ أن تقبيلُ يدِ باعَةِ الزهدِ خطأٌ

 وكَمْ من عُرفاءَ عرفَت بسيطتُنا خُطواتِهِم مطبوعَةً على مِهادِها وَوِهادِها، سُهولِها وصَحاريها

وكَمْ شهِدَتْ مجتمعاتُنا البشريّةُ فنّانينَ انبثَقوا من أوساطِها مُعَبِّرين عن مَشاعِرِهِمْ نَظماً، لِيُهْدُوا عُصورَهُمْ دواوينَ تجمعُ في طَيَّاتِها أَروَعَ أحاسيسِهِمْ الكامنةِ عُقُودَ جُمَانٍ استعاراتٍ وتمثيلاتٍ

وَلَطالَما كانَ لحنُ أهلِ العشقِ الشَّجِيُّ قِبلةَ ذوي القلوبِ الوَلْهَى؛ رجالاً ونساءً، علماءَ وعَوامَّ، شِيباً وشُبَاناً، أغنياءَ وفقراءَ؛ فقد كانَ العشقُ بِمَثابَةِ واسِطةِ العِقْدِ التي تَنتَظِمُ بها الخيوطُ الاجتماعيةُ المختلفة. وما أجملَ ما قالَ الشاعرُ طبيبُ الأصفهانيُّ

بنازم به بزم محبت كه آنجا

گدايي به شاهي مقابل نشيند

يا مَرحباً بحفل ضيافةِ الحبِّ الذي

يجلس فيها المسكينُ المستكينُ والملِكُ المَكينُ متقابلين

فالعُشّاقُ، انتظاراً للمعشوقِ، تعتَريهِمْ حالةٌ من الذُهولِ والوَجْدِ، ما لا يُطيقونَ معها التمييزَ بين القَيظِ والقُرِّ، والغنى والفقرِ، والخُضرَةِ والقَفْرِ، والجبلِ والوادي، فَيَهيمونَ في مملكةِ العشقِ، حتى يُعْثَرَ على أجسادِهِم التي فارقَتْها الأرواحُ هُياماً

 إمّا في الجبالِ كفرهادَ العاشقِ، أو نهرِ دجلةَ كالحلاج، أو عند مشاهدةِ قبرِ المعشوقِة ليلىٰ كمجنون العامري:

اضاف الشيخ محمد حسين مهدوي مهر ـ رئيس جامعة المصطفى العالمية في لبنان وسوريا أمَّا التاريخُ الفقيرُ بالشفافيّةِ، فقد كانَ أعجَزَ عن تصوير حياتهم، واكتفى برسمِ صورةٍ مُبهَمَةٍ عنهم على قَدْرِ بضاعتِهِ

واليومَ، نحنُ في مَحضَرِ إحدى قاماتِ ديارِ العشقِ، التي جمعَت بين العشقِ والانتظارِ، والأدبِ والعرفانِ، والحبِّ بِبُعْدَيْهِ الفرديِّ والاجتماعيِّ، بمقارَبةٍ إبداعيّةٍ مبتكَرَة

قدَّمَ التاريخُ شعراءَ، كانوا "شمعَ مَحافِلِ العشّاقِ" يَتَحَلَّقونَ حولَهُ، إلّا أنّ شاعرَنا وحدَهُ استأهَلَ –باعترافِ الأدباءِ- لقبَ "لسانِ الغيبِ"؛ فقد كان يحفظُ القرآنَ بأربعَ عشرةَ قراءةً.

وما بَرِحَ صَدَى ندائهِ "رَبَّنا" في القرآن نافذةً تفتحُ للقلوب المحزونةِ أُفُقاً نحو لقاءِ حضرةِ المحبوبِ، لتخطِفَ أفئدةَ العشّاقِ ألحاناً وأطواراً

ولكنْ، ما الذي جعلَ محمدشمسَ الدينِ حافظَ الشيرازيَّ أوحديَّاً ممَيَّزاً في مملكةِ شعرِ العشقِ؟ سأل الشيخ محمد حسين مهدوي مهر "لقد كانَ بَوْتَقَةً صُهِرَتْ فيها ثُنائياتُ العشقِ والانتظارِ، العلمِ والعرفانِ، الأدبِ والشعرِ، القرآنِ والمعارفِ الإلهيّةِ، لطافةِ التعبيرِ وعُمقِ المحتوى، سلاسةِ التعبيرِ ودِقّةِ المعنى، ناهيكُم عن صفاء الباطنِ ونقاءِ السريرةِ؛ فكانَ بحراً في أحشائهِ الدُّرُّ كامنٌ...

وتابع الشيخ محمد حسين مهدوي مهر سأُعَرِّجُ في هذه العُجالَةِ على مَعالِمَ من حياتِهِ الزاهرةِ بالعشقِ على لسانِهِ البليغِوتابع

لقد تجلّى عنصُرا الوحدةِ في العبوديّةِ والأملِ بمبدأ الوجودِ شمساً مضيئةً في مرآةِ جمالِهِ؛ إذ يقول:

مزرع سبز فلک دیدم و داس مه نو

یادم از کشته خویش آمد و هنگام درو

گفتم ای بخت بخفتیدی و خورشید دمید

گفت با این همه از سابقه نومید مشو

رأيتُ مزرعةَ الفلَكِ الخضراءَ، ومِنجَلَ الهلالِ الجديدِ؛ فتذكَّرتُ زرعي ووقتَ حصادِهِ

قلت: يا بَختي! مالَكَ نمتَ والشمسُ قد طلعت؟

قال: مع هذا كلِّهِ، لا تكنْ يائساً لما عرفت من رحمته

 ومن خصائصِ شاعرِنا الأُخرى، أُنسُهُ الدائمَ بكتابِ اللهِ حتى جعلَ منه حليفَ القرآنِ؛ إذ يقول:

عشقت رسد به فریاد ار خود به سان حافظ

قرآن ز بر بخوانی در چارده روایت

عشقُكَ سوفَ يُلبِّي استغاثتَكَ، إذا كنتَ مثلَ حافظَ تقرأُ القرآنَ على أربعَ عشرةَ روايةً

وأمّا قلبُهُ؛ فقد كانَ مُكتَنِزاً بالعشقِ، أَلْهَبَ العالمَ بنارهِ، وأطلقَتْ شَراراتُهُ حرائقَ في أفئدةِ المارّينَ بوادي الحبِّ؛ إذ يقول:

صنما با غم عشق تو چه تدبیر کنم

تا به کی در غم تو ناله شبگیر کنم

آن چه در مدت هجر تو کشیدم هیهات

در یکی نامه محال است که تحریر کنم

ياصنمِي!

ماذا اصنع في تدبيرعشقك!!

سَحَري منكَ حَتَّامَ لَوعةٌ وزفيرُ

كلُّ ما لقِيتُ منكَ في مدّةِ الهَجرِ

مُحالٌ لهُ الكتابُ والتحريرُ

أو حين يقول:

دیشب به سیل اشک ره خواب می‌زدم

نقشی به یاد خط تو بر آب می‌زدم

ابروی یار در نظر و خرقه سوخته

جامی به یاد گوشه محراب می‌زدم

ليلةَ الأمسِ قطعتُ دربَ النومِ بسيلٍ من الدمعِ

وكنتُ أتخيَّلُ خطَّكَ رسماً على الماءِ،

حاجِبُ الحبيبِ في نظري، وخِرقةٌ محترِقةٌ، والكأس أكرَعُ على ذِكرِ رُكنِ ذلك المحرابِ.

وجهُ المعشوقِ راحَ يتجلَّى لنظري، وأنا من بعيدٍ أَطبَعُ القُبَلَ على خدِّ القمرِ

وأحياناً يصرِّحُ دونَ مُوارَبَةٍ

فاش می‌گویم و از گفته خود دلشادم

بنده عشقم و از هر دو جهان آزادم

طایر گلشن قدسم چه دهم شرح فراق

که در این دامگه حادثه چون افتادم

أقولُ عَلَناً، وأُسعَدُ بالقولِ، أنا عبدُ عشقِكَ وحرٌّ من العالَمَين،

أنا طائرُ روضةِ القُدسِ كيف لي بِشرحِ الفراقِ،

وكيف علِقْتُ في مَصيَدَةِ الحوادِثِ؟

امسحِ الدمعَ عن وجهِ حافظَ بِخِصلةٍ من شعرِكَ،

أو يَجرِفَ هذا السيلُ دائمُ الجريانِ بُنياني

لقد تحوَّلَ حافظُ إلى منتظرٍ لرؤيةِ الحبيبِ بشدّةِ عشقهِ للمعشوقِ وشَوقِ لُقياهُ؛ فكانَ وجهاً قد اِتَّسَعَت حَدَقاتُ عينيهِ وهي ترمُقُ نورَ وجهَ المعشوق،

قد أعرضَ عن الدنيا ومن فيها

گر باد فتنه هر دو جهان را به هم زند

ما و چراغ چشم و ره انتظار دوست

ماییم و آستانه عشق و سر نیاز

تا خواب خوش که را برد اندر کنار دوست

دشمن به قصد حافظ اگر دم زند چه باک

منت خدای را که نیم شرمسار دوست

إذا ريحُ الفتنةِ ضربَت العالَمَينِ، نحنُ وسراجُ عيونِنا، ودربُ انتظارِ الحبيبِ

نحنُ وبوَابةُ العشقِ والفاقَة،...

ليأخذَنا النومُ الجميلُ في جوارِ الحبيبِ العدوُّ، إن سعى بقصدِ حافظَ، ما الخوفُ؟ المِنَّةُ للهِ لستُ خجِلاً من الحبيبِ

ولعلَّ مِنَ الشعراءِ مَن اشتركَ مع حافظَ أو قارَبَهُ في بعضِ ما ذكرْنا،

إلا أنّ إبداعَه في إضفاءِ معنىً جديدٍ لمفهومِ الانتظارِ والتحليقِ به من قفص بلوغِ خِصلةٍ من شَعرِ المحبوبِ وزلفه، إلى آفاقِ القِيَمِ الإنسانيةِ الرَّحبَةِ، ليكونَ الانتظارُ قاسماً مشترَكاً بين البشرِ نحوَ تحقيقِ تطلُّعاتِهِم الساميةِ،

ليعكِسَ حكايةً عن نهايةِ الانتظارِ ولقاءِ الحبيبِ، راسماً لوحةً دقيقةً عن ذلك المجتمعِ المُزهِرِ بنورِ المعشوقِ الكاملِ:

جمال بخت ز روی ظفر نقاب انداخت

کمال عدل به فریاد دادخواه رسید

سپهر دور خوش اکنون کند که ماه آمد

جهان به کام دل اکنون رسد که شاه رسید

ز قاطعان طریق این زمان شوند ایمن

قوافل دل و دانش که مرد راه رسید

عزیز مصر به رغم برادران غیور

ز قعر چاه برآمد به اوج ماه رسید

کجاست صوفی دجال فعل ملحدشکل

بگو بسوز که مهدی دین پناه رسید

صبا بگو که چه‌ها بر سرم در این غم عشق

ز آتش دل سوزان و دود آه رسید

ز شوق روی تو شاها بدین اسیر فراق

همان رسید کز آتش به برگ کاه رسید

مرو به خواب که حافظ به بارگاه قبول

ز ورد نیم شب و درس صبحگاه رسید

جمالُ البَختِ عن وجهِ الظفرِ رفعَ النقابَ، كمالُ العدل لبَّى بالعطاءِ صرخةَ المظلومينَ

قوافلُ القلوبِ والعلومِ صارت آمنةً من قطّاع الطرقِ هذا الزمانَ

 بعد أن جاء رجلُ الطريقِ

عزيزُ مصرَ برغمِ إخوتِهِ الحاسدين

 خرجَ من قعرِ الجُبِّ، ووصلَ إلى أوجِ القمرِ

 أين هو الصوفيُّ دجّالُ الفعلِ مُلحِدُ الشكلِ؟

قل له احترِقْ، فقد وصل مهديُّ الدينِ والكهفُ الحصينُ

نسيم الصبا حدِّث بما جرى علىّ من غمِّ العشقِ من نار قلبي المشتعلةِ ودخانِ آهاتي

! ملِكي

أسيرُ الفراقِ هذا، بشوق وجهكَ، أصابه ما أصابَ ورق الحصيدِ من النارِ

 لا تذهب في النومِ، فحافظُ، من وِردِ منتصفِ الليلِ ودرسِ السحَرِ، وصلَ إلى ديوان القبولِ

ختاماً قال الشيخ محمد حسين مهدوي مهر إليكم غزلاً عن حكاية ألم الفراق وانتظار منجي البشرية:

دست از طلب ندارم تا کام من برآید

یا تن رسد به جانان یا جان ز تن برآید

بگشای تربتم را بعد از وفات و بنگر

کز آتش درونم دود از کفن برآید

بنمای رخ که خلقی واله شوند و حیران

بگشای لب که فریاد از مرد و زن برآید

جان بر لب است و حسرت در دل که از لبانش

نگرفته هیچ کامی جان از بدن برآید

از حسرت دهانش آمد به تنگ جانم

خود کام تنگدستان کی زان دهن برآید

گویند ذکر خیرش در خیل عشقبازان

هر جا که نام حافظ در انجمن برآید

لن أكفَّ عن السعي إلى غايتي،

أو يصلَ جسدي إلى حبيبي، أو يخرجَ روحي من جسدي، إفتَح بعد وفاتي قبري وانظر، تَرَ الدخانَ يخرجُ من كفني من نارٍ بداخلي

أَظهِرْ الوجهَ فالخلقُ حيارى وٰالِهون،

وتكلَّمْ فالصراخُ يعلو من الخَلقِ رجالاً ونساءً،

روحي على شفتَيَّ والحسرةُ في قلبي،

وما نِلتُ مُنيَةً من شَفَتِهِ، والروحُ تغادرُ بدني

 الحسرةُ بي لثغره سبَّبَت ضيقَ روحي،

ذلك الثَّغرُ متى يعطي المساكينَ مرادَهم؟!

في كل مرةٍ يُذكَرُ فيها اسمُ حافظَ في مَحفِلٍ،

يقال: ذكره الله بالخير في زمرة العاشقين المتغزِّلين!!

جعلَ الله عاقبةَ عشقكم وانتظاركم لقاءَ المحبوب.

الكلمة التالية كانت للدكتور نادر نظام , الأستاذ في جامعة العلامة الطباطبائي في إيران والذي قدم مداخلة بعنوان ,ديوان حافظ الشيرازي بالعربية شعراً

وبدأ كلامه بالحديث عن حياة حافظ الشيرازي وفلسفته الشعرية، فنقل للحاضرين ماقاله الشاعر الالماني " گوته" في ديوانه الشرقي والغربي : آن من يشتغل بحافظ لايستطيع ان يفرغ منه, اضاف الدكتور نادر نظام "وآن القارئ لشعره لايستطيع ان يتحوّل عنه".

ويخاطب حافظا بقوله:

انك نبع الشعر الذي يصل بالاماني الى الاوج، فاذا هي فيض في اثر فيض وموج في اثر موج.

والحسنة ان حافظا كان يجسّد مافي نفسه واحاسيسه بصياغة أهازيج شعرية تتردد على ألسنة الهة الشعر، وتظلّ اصداؤها مصدر الهام في كل مكان وزمان ، تحمل الانسان على عالم غير عالمه ، عالم يغرق بالانسانية والحب والحكمة والجلال.

فمن هو حافظ هذا؟

ولد حافظ الشيرازي كما تدلّ نسبته في مدينة شيراز، بلد لورود والبلابل ، اصل ابيه بهاء الدين من اصفهان وكان تاجرا فانتقل الى شيراز ، وتزوج فيها ورُزق بثلاثة اولاد أصغرهم شمس الدين محمد الذي عُرف فيما بعد " بحافظ وبلسان الغيب وترجمان الاسرار.

 عاش شمس الدين محمد بعد وفاة ابيه ومغادرة اخويه للأسرة مع امّه مدّة من الزمن، الى أن ضاقت بهم الحال وساءت حالتهما المادية، فاضطر شمس الدين للعمل خبّازا، فكان يذهب في منتصف الليل في منتصف الليل الى المخيز ويعمل حتى الصباح، ممن وفّر له ذلك وقتا للاستراحة والذهاب الى احد الكتاتيب ، واستطاع بعد مدّة أن يحفظ القرآن فعُرف بحافظ القرآن.

 وكان بالقرب من بيته بزاز يقرض الشعر فكان يذهب اليه ويستمع الى شعره ، وهو مادفعه ليجرّب حظّه في هذا الفن فلم يجد مانمه اقبالا. كما أحبّ فتاة تُدعى شاخ نبات ، حاول الاتصال بها فردّته.

كلّ هذا وعوامل اخرى دفعته للتفكير باعتدال، فاختار لنفسه ضريح" باباگوهى" الواقع في شمالي شيراز ، واعتكف فيه اربعين يوما يتقرّب فيها الى الله تعالى بالدهاء والضراعة . ويقول أنه في أواخر أيام اعتكافه رأى في المنام الامام علي"ع" فأطعمه بيده طعاما سماويا والهمه غزله المعروف:

سحر ليلة امس من غمرات الاحزان تمّ نجاتي

 في هذه الكلمات من ليلي أغاثوني بماء حياة

لمّا تجلّت لي اشعة نوره صَعِقا سقطت فناولوني

 كأس خمر قد تجلّى في سناها صفوُ خير صفاتي

ويقول في آخر الغزل:

كلّ الذي ينهل من شهد وسكر شعري وكلامي

 أجر لصبر قد منحتّ لاجله ألاء " شاخ نبات"

ثمّ مالبث أن أسلس له الشعر قياده فنظّم أروع الاشعار التي انتشرت في ارجاء ايران والبلاد المجاورة كتركستان والعراق، وكان قوام الدين محمد وزير الشاه شجاع قد اسس مدرسة عام 760 هـ ، وكان يُعجب بشعره ويحيطه برعايته، فجعله قيّما ومدرّسا فيها

كان حافظ يدرّس "الكشاف في التفسير" للزمخشري و " مصباح المطرزّي في النحو"و " طوالع الانوار في الحكمة والتوحيد"و " مفتاح العلوم في الادب" . وكان الطلاب يتقاطرون الى درسه بشوق ولهفة ، حيث يستمعون الى اشعاره بعد الفراغ منه فيحفظونها وينشرونها

عاش حافظ بشيراز في القرن الثامن الهجري بين عامي 720 و792، ونظّم شعره بلغة لاتختلف عمّا هي عليه الآن ، وضمنه الكثير من الكلمات العربية على غرار اهل عصره آنذاك. وكان يتحدّث في شعره عمّا كان يشغل الناس من امور معاشية وعقائدية، واوضاع اجتماعية ، فرأيناه يقف من بعض المتصوفين موقف المخالف لأعمالهم ، فيهاجمهم ويتحدّث عن ريائهم ونفاقهم وتظاهرهم فيقول:

نصب الصوفي الخبيث شباكه واعدّ صرّة فكره

 واساس بنيان التشعوذ ساده بتحايل الافلاك

كل هذا وغيره ادّى الى انتشار شعره بين مختلف الطوائف وجذبهم اليه ، لاسيما لما في هذا الشعر من روح عرفانية تدغدغ القلوب والمشاعر.

اضاف اضاف الدكتور نادر نظام يرى كثير من العلماء ان شعر حافظ عرفاني روحاني، ويقولون أن حافظا صوفيّ يسلك مسلك العارفين في مصطلحاتهم وعباراتهم الخاصة، فاحاديثهم على السنة الطير لايدركها الا من كان شبيها بسليمان ، وبناء على هذا يفسّرون الخمر بآنها خمر ازلية يديرها الساقي الذي يرشدك الى طريق الهداية فيملأ الكأس من تعاليمه السامية التي تدفع عنك الظلالة والغواية

وبأن الربيع عندهم ربيع الابراروالخميلة روضة الاخيار الى اخر ما هناك من رموز واصطلاحات ، وقد حاول بعض من الشعراء الغربيين ان يترجموا غزلياته، والتي هي اكثر ديوان شعره بناء على هذه الرموز ، فلم يفلحوا ، ويرى آخرون ان بعض شعره عرفاني صوفي، وبعضه الاخر لايخلو من نزعات انسانية.

وهناك من يرى ان شعره كلّه دنيوي.

هذا وقد سعى بعض الحاسدين له من فقهاء الصوفية لتكفيره حين سمعوه يقول:

ان كان ذا ما عند حافظا من الاسلام

 لاكان بعد اليوم يومٌ او غدُ يأتي على الانسان

فقالوا يبدو من هذا البيت أنه لايؤمن بيوم القيامة وعدم الايمان بها كفرٌ

ولم يتخلّص من مكرهم الا بعد ان أضاف بيتا قبله بارشاد أحد الفقهاء يقول فيه:

أجمل بطيب حديث لمسيحيّ قاله في سحرة

 بالرّق يشدو في صفا حانٍ ونايٍ أعذب الالحان

ذلك ان نقل الكفر ليس بكفر

وكان حافظ قال يعتقد بأن كلّ مايحصل للانسان ومايفعل مّقدّر له من الله تعالى يقول

ياذا الحكيم اذا شعرت براحة او غصّة

 هذا من الله العلي وحكمه بقضاء

ويقوا انه يرى في هذه الدنيا انسانا ولايرى انسانية ، فالانسان الحقيقي غير موجود ، ولذا يجب صنع انسان وعالم آخرين:

في ذي البسيطة لا أرى انسانا

 لابدّ من صنع الجديد لعالم وبسيطة

لقد كان حافظ عرفانيا اكد الدكتور نادر نظام ، والعرفان عنده مرتبط بالدين ، وهما مرتبطان بالحياة الدنوية ، والقاسم المشترك بين هذه الثلاثة هو الحب ، والحبّ هذا هو الامانة التي عرّفها الله على السموات والارض ، فأبى أن يحملاها وحملها الانسان وهو لكشف الحقيقة الالهية ، ويرى أن السماوات والارض لاتملك قوة الادراك ، ولذلك اُلقيت هذه الامانة على عاتق الانسان ، وقد تمّ اختيارها له بالقرعة لجنونه

لم تستطع تلك السماء وما ارادت تحمل عبء امانة

 فحملتها لجنون عقل طائعا وبقرعة وبقداح

توفى حافظ الشيرازي عام792 هـ فدُفن في روضة المصلّى التي أحبّها في حياته ، ويُعرف قبره هناك باسم الحافظية ، وهو محّجة لأهل الشعر والادب ، وقد نُقش فوق قبره غزله الرائع هذا ، مطلعه:

بشرى وصالك أينا حتى ابيع حياتي

 وأطير من فخ الوجود الى عوالم قدسي

قسما بحبك لو تخاطبني كأصغر خادم

 لتركت ذي الدنيا وما فيها بظلمة حبسي

يارب ادركني بغيب من سحاب هدايتك

 من قبل ان أغدُ ترابا يستطير برمسي

لقد لقي شعر حافظ رواجا بعد وفاته كما كان الحال في حياته ختم الدكتور نادر نظام ، فنرى له عشرات المخطوطات والترجمات في مختلف بلاد العالم كالهند وتركيا ومصروانجلترا وفرنسا والمانيا وامريكا وغيرها

. علاوة على طبعات في ايران لاتُعد ولاتُحصى

تحدثت بعد ذلك الاستاذة فايزة محمد ـ الكاتبة والباحثة ـ عمان وكان عنوان مداخلتها

 وقالت "معلومٌ أنَّ حافظ الشّيرازيّ هو شاعرٌ عرفانيّ بالدّرجة الأولى، مثّل قمّةَ الهرم للأدبِ العرفانيّ في إيران، والقامة الكبرى في الشّعرِ العالميّ ,و كلّ الشّعراء العرفانيّين الّذين أتوا بعد حافظ الشّيرازيّ تأثّروا به و بلغتهِ الشّعريّة، ورموزهِ، و نكتهِ العرفانيّة، و ليس في إيران فحسب و إنّما في العالم الغربيّ أيضاً، حتّى جاء الشاعرُ الألمانيّ (جيته) و ألّفَ ديوانَهُ (الدّيوان الشّرقيّ للمؤلّف الغربيّ )و هو على غرارِ ديوانِ حافظ الشّيرازيّ و ظاهره الحسّي لا رمزه العرفانيّ"

اضافت الاستاذة فايزة محمد "و تلك حقيقة ما ينتهي إليه النقّادُ و المستشرقون في تفسيرِ شعرِ حافظ الذي يجمعُ بين منطلقين :(الحسّي الظّاهريّ) ،و(العرفانيّ الرّمزيّ)، كما وتبوّأ الشّعر العرفانيّ مكانةً عاليةً في التّراث الشّعريّ الفارسيّ، و قدّم معلماً متميّزاً من معالم الشّعريّةِ في هذا التّراث، و أنبثق عنه أعلامٌ كبار، أمثال: جلال الدّين الرّوميّ ,و فريد الدّين العطّار ,و سعدي الشّيرازيّ,و شاعرنا حافظ الشّيرازيّ.

و العرفانُ بشكلٍ عام حالةٌ مطلقة لا تنحصرُ بمفهومٍ أو تعريفٍ جامعٍ مانع ,لأنَّ التّجربةَ العرفانيّة نفسُها تختلفُ من عرفانيٍّ لآخر تبعاً لاختلافِ المقاماتِ و الأحوالِ التي يمرُّ بها العاشق.

فالعرفان هو الانقطاع عن العالم و عدم الاكتراث الى الحياة الزّائلة اشارت الاستاذة فايزة محمد ، و الانكفاء عمّا سِوى الله سبحانه و تعالى، وتلك مَعالم رئيسة يجب توفّرها عند العارف وأساس ذلك منطلَقين (التّحلّي و التّخلّي) حتى يصل القلب الى مرحلةٍ من الصّفاء و النّقاء و يكون مؤهّلاً لانعكاسِ المعارف الإلهيّة، فالعرفان عمليّة صفاء روحانيّ مطلق من خلال السّير و السّلوك من أجل تهذيب النّفس و رياضتها للإندماج أو الفناء في الذات الإلهيّة، وهي الغاية القصوى والمنزلة العظمى التي سعى العرفانيّون لبلوغها

و العرفان نهجٌ خاصٌّ في التعبّد و له عقيدتهُ الخاصّة أيضاً، فهو علوٌ ونزوع نفسيّ ينزع فيه العارف عن أفقِ المحسوس إلى أفقٍ آخر مطلق، فالعرفانيّ (العاشق) له رؤيتُه الخاصّة التي من شأنها رفع المعشوق من أفقهِ الحسّيّ الى أفقِ الجلالِ و الجمال.

هذهِ الأُسس التي قامت عليها التجربة العرفانية جعلت من شعر الشاعر العرفاني طقس عبادي ينتابه فيعبّر عنه (بسلوك و فكرٍ و شعور)، فالنص الشعري العرفاني هو في معرض الحديث مع الله تعالى. ولأنَّ الحديث موجّه للذات الإلهية كانت التجربة الشعريّة العرفانية تختلف عن بقيّة التجارب الشعريّة التقليدية المألوفة، فهو شعرٌ ينطلق من منظومة فكريّة خاصّة نابعة من التجربة العرفانية ذاتها التي تمثّل حالة من التعلّق و الوجد و الإشتياق الذي لايسكن باللقاء و إنّما يقدح أمل الفناء في الذات الإلهيّة، وتمثّل أيضاً التجربة العرفانية مظهر من مظاهر الرياضة النفسيّة يحاول الشاعر التعبير عنها فتكون تجربته نابعة عن فعل حقيقي و طقس سلوكي خاص غايته التوجّه الى الكمالات و بلوغها

تابعت الاستاذة فايزة محمد "و هذهِ السمات كلّها تميّز التجربة العرفانية عن التجربة الشعريّة الإعتياديّة، ومصداق ذلك هو اختلاف اللغة في الشعر العرفاني عن الشعر الإعتيادي، فاللغة لها بنيتها الخاصة المفعمة بالرمزيّة و الغموض و التعقيد والمصطلحات العرفانيّة التي تمثّل بؤر ضوئية تشع بالمعاني و الدلالات

فالتجربة العرفانيّة هي (سلوكية روحيّة)متجّهة الى الذات الإلهيّة ,سالكةً سبيل التعلّق,من أجل التماهي و الذوبان و الحلول.

فالمحبوب الذي يسكن الحشا، و الذي يجري مجرى الدم في العروق، محتّلاً من العاشق روحه وقلبه، وشاغلاً كل أفكاره وحواسه، ورؤية المعشوق بعين القلب والبصيرة، والحرص في إمتزاج روحيهما في روحٍ واحدة؛ ليمثّلا ذروة العشق و الهُيام، كانت كلها صورٌ شعريّة ولّدها الإنفعال الوجداني الصادق عند حافظ الشيرازي، فيقول:

چنان پُر شد ،فضــایِ ســـینه از دوســـــت

 که فکـــــرِ خـــویــش گُــم شــد از ضمــــیــــرم

ترجمته: إن صدري امتلأ بذكر الحبيب، حتّى غاب عن ضميري التفكير في نفسي وأمري.

و قوله فی غزل آخر:

دل به اميد روى او همدم جان نميشود

جان بهواى كوى او خدمت تن نميكنـــد

ترجمته: و قلبي أملاً في رؤية وجه المعشوق لا يرافق روحي، و روحي حبّاً في محلّته لا تخدم جسدي:

 وختمت الاستاذة فايزة محمد فآهات الوجد و الإشتياق يطلقها العرفاني من خلال الممارسة القوليّة الشعريّة؛ لأن الشعر كما هو معروف (أداة تعبير)، و فوق ذلك له طاقة رمزيّة مكتنزة تؤدي غايتها الدلاليّة و التعبيريّة.

فكان الشعر العرفاني يمثّل تجربة شعوريّة صادمة و صادقة في آنٍ واحد، و من هنا إحتازت القصيدة العرفانية على خصوصيتها التي تجعلها مفارقة لألوان الشعر الأخرى,كانت تمثّل مبعثاً لتجديد الذوبان في الذات الإلهيّة كما في معاني الشعراء الذين تأثّر بهم حافظ ,فكانت قصائدهم ترجمان لحالة التوق و النزوع التي تنتاب العرفاني خلال سيره وسلوكه.

الكلمة الاخيرة كانت للدكتور صادق خورشا - استاذ في جامعة العلّامة الطباطبائي-ایران تحدث عن موضوع " حزمة الورد والعندليب".. گعده مع حافظ الشیرازي".

الدكتور صادق خورشا تناول في حديثه عن موضوع ,

 "مجموعه گل" وبلبل، نشستى با حافظ شيرازي

ومن الاشعار :

ومنااش "حُزمَة الوَرْد" والعَندَليب, جَلسة مع حافظ الشيرازيّ

قدرِ مَجموعه گُلْ مُرغِ سَحَرْ دانَدْ وْبَس

 كِهْ نَهْ هَرْ كاو وَرَقيْ خوانْدْ مَعانيْ دانِسْتْ

أي: لا یعي البُرعُمَ إلّا البلبل؛ ولا يفقه المقروء كلّ مَن قرأ

وقال الدكتور صادق خورشا

وهذا البيت يذكّرنا ببيتين لأبي نؤاس، وقد قال فيهما

خلقت الجمال لنا فتنة \*\*\* وقلت لنا يا عبادِ اتقون

وأنت جميل تحب الجمال \*\*\* فكيف عبادك لا يعشقون

ورَدِّ عليه الشاعر عمر بهاء الدين الأميري، قائلاً:

خلقت الجمال لنا نعمة \*\*\* وقلت لنا يا عبادِ اتقون

فإنّ الجمال تُقىً، والتقى \*\*\* جمال، ولكن لمن يفقهون

نعم! خُيّلَ إليَّ في هذه العُجالة التي أَزِف فيها الوقت، فلم تسعفني للتؤدة والتأني والتوقف بتمعن أكثر فأكثر عند هذا البيت الشعري لحافظ الشيرازي قال الدكتور صادق خورشا ؛ وذلك لسبر أغواره، والوقوف عند جرف نهره أو رافده، أوبالأحرى أو الأصح الخوض في غمار بحاره، والغوص في جوف خِضَّمه، للكشف عن درره الفريدة والوصول إلى لآلئه اليتيمة لالتقاطها واقتناصها

نعم! خيّل إليّ أنني قادر في هذه الوجيزة والدردشة الحميمة و"الكعدة" العلمية الوديّة، على الإحاطةِ بشيء من أدب حافظ الشيرازيّ الثّرّ الفاتن وفنه الخلّاب الأخاذ الرائع، والعًبِّ من غیض فیض فکره الثاقب، والجسِ بنبضٍ من نبضات قلبه الدافقة الخفاقة، والتنسمِ بنفح من أنفاسه المسيحائية الباعثة للروح والعطرة بأريج المحبة، والولوجِ في كنهٍ من جواهر نفسه التواقة دوماً وأبداً إلى ذلك النبع الصافي الذي نهل من سلسبيله وشرب، واحتسى من رحيقه وعَبَّ، وهو لم يزل في عالم الكمون، عالم الذرّ، وفي يومه الباقي من الأزل إلى الأبد، يوم النجاة والنَّجو الذي التقى فيه الحبيب بأحبته فأسَرّوا وتهامسوا وتساءلوا واستفسروا، ألا وهو "يوم ألست"؛ ذاك اليوم الذي احتست فيه البشرية جمعاء حتى الثمالة كؤوس حميّا الحب وأكوابها وأقداح صهباء العشق وآنيتها مِن محيّا مَن جلّ عن الحسن جمالُه وبلغ في الجلال كماله؛ محيّا مَن هو جميل يحب الجمال، فخلق الخلق على صورته، فأحبه الخلق على منواله.

وقد قال حافظ الشيرازي:

مقام عَيش مُيَسَّر نمي شود بي رنج

بلي به حكم بلى بسته اند عهد [روز] ألست

وعلى حدّ قول سلطان العاشقين ابن الفارض الذي احتذى لسان الغيب حافظ الشيرازي حذوه واقتفى أثره ونهل من معينه، حيث يقول:

سقتني حُميّا الحب راحةُ مقلتي

 وكأسي مُحيّا مَن عن الحسن جلّت الصوفية يقسمون الحسن

وهناك حسن لا قبح فيه والجمال ولذا قال عن الحن جلت

نعم! "يوم عهد ألست" الذي احتست فيه البشرية المُدامة الإلهية، ولم يكن بعدُ الكَرْم؛ وقد قال ابن الفارض:

شربنا على ذكر الحبيب مُدامةً

 سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وزاد عليه الجامي وربا وسما وعلا، وذهب إلى أنّه: ليس لم يكن الكرم فحسب بعدُ، بل لم يكن غارسها أيضاً بعدُ، أي لم يخلق الإنسان بعدُ فما بالك بالكرم؛ وهي ليست إلّا ابنة الكَرْم الإلهية، فقال:

بودم آن روز من از طايفه دُرد كشان

 كه نه از تاك نشان بود ونه ازتاك نشان

أي: كنت في ذاك اليوم من شاربي الخمرة ومحتسيِّها حتى الثُمالَة، ولم يكن بعدُ لا الكرم ولا غارس للكرم

نعم! إنّها الخمرة الإلهية التي احتساها بنو البشر وأولهم أبوهم آدم حينئذ، ولكنهم لم يرتووا منها ولن يرتووا قطُّ.

شربت الحب كأساً بعد كأس \*\*\* فما نفذ الشراب ولا رويت

ولكنني على الرغم من ذلك سأحاول جاهداً الإلمام بالنَّزر اليسير من كلٍّ من ذلك "فما لا يدرك كلّه لا يترك جُلّه"، عسى ولعل! وقد قيل:

آب دريا را أكر نتوان كشيد \*\*\* هم بقدر تشنكي بايد جشيد

أي: وإن يتعذر شرب مياه البحر كلها؛ فلا محالة من شرب ما يطفأ ظمأ العطش

وسأبدأ بالحديث عن حُزمة ورده، وعندليب سَحَره، عن وريقات أزهاره، وصفحاتٍ طروس أوراده، وقراطيس زهوره، ووروده التي لا يتنسمها إلّا من تنفس بعبق أريجها، وثمل بفوح عطرها؛ وإذا ماتنسمها وتنفسها وثمل بها فهل يستطيع البوح بسرّها والتعريف بوصفها؟ ( على قول الجامي: تا نجشي نداني، وجون داني نتواني) (لا يعرف الداء) ويا ترى ما هي: ماهيّة تلك الرزمة وهوية تلك الحُزمة أو جوهر تلك البُرعُمة التي تنطوي على ذلك الزهر البهي والورد البهيج؟ وما هي: ماهية أوراقها الزاهية وهوية أغصانها الدانية؟ أهي حزمة صفحات المصحف الكريم ورزمة آيه؟ أو أو أو.... ومن هو ذلك العندليب الذي ينشدها فجراً ويتغنى بها سَحَراً، ولا یعیها أحدٌ غیره؟ هل هو الشاعر نفسه، حافظ الحافظ لآيه، والملقب به، وهو القائل:

عشقت رسد بفرياد ار خود بسان حافظ

قران زبر بخواني در جهارده روايت (القارئ وراويه

روايت

وما الفرق بين عندليبه السَحَري وعندليب سَحَر "بلدياته" سعدي الشيرازي، القائل:

أي مرغ سحر عشق ز بروانه بياموز

 كآن سوخته را جان وآواز نيامد

وما الفرق بين عندليبه السَحَري وعندليب سَحَر دهخدا في بكائيته الرائعة والشهيرة بتسميتين: الأولى، "أي مرغ سَحَر!" (يا طائر السَّحَر!) والأخرى: "ياد آر ز شمع مُرْدَه ياد آر!" (اذكر الشمعة المنطفئة وتذكّرها!)، وهي رثائية لصديقه الحميم في صحيفة صور إسرافيل الذي غدر به فخنق وقتل، فرآه في المنام معاتباً إياه متسائلاً: لِمَ لم تذكرني؟ ولم لم تتذكّرني؟ فترامت إلى سمعه وهو في منامه عبارة: "ياد آر زشمع مرده ياد آر!" فنهض واستيقظ من نومه ونظم تلك القصيدة الرائعة

نعم! ومن هو ذلك الجاهل، وربما الأمي أو الأعمى البصيرة، الذي لا يعي ولا يفهم ولا يفقه ما يقرأ وما يطالع من آيات الله (سبحانه وتعالى) التي قال عنها الشاعر العربي المعاصر، أبو ماضي:

تلك الطبيعة قف بنا يا حادي \*\*\* حتى أريك بديع صنع الباري

الأرض حولك والسماء اهتزتا \*\*\* لروائع الآيات والآثار...إلخ

كما قيل:

سُبحانَه من جميل، ليس لوجهه نِقاب إلّا النّورُ، ولا لجماله حِجاب إلّا الظُّهورُ"

وهنا نود التوقف قليلاً عن ديوان حافظ الشيرازي بعامة وغزلياته بخاصة، وكيفية قراءتها أو تفسيرها أو تأوليها، وما الطريقة المثلى والنهج الأسمى لتناولها ومعالجتها، ولتحليلها ونقدها وترجمتها، ولفهمها ووعيها وفقهها؛ وقد كثرت المناهج وتعددت المدارس وتنوعت المذاهب وربت النظريات وازدادت إلى درجة لا يمكن حصرها وحدها وعدها

وقد ترجم ديوان حافظ شعرا ونثرا، كما ترجمت مجان من غزليات، ونذكر من المترجمين.

الدكتور نادر نظام

الشواربي\*

محمد الفراتي

د. علي عباس زليخة

ونحن اليوم نمخر عباب الموجة الثالة من عالم اقتصاد المعلومات ختم الدكتور صادق خورشا كلمته قائلا":

وقد شهد العصر الحديث تحولات جمة في الفكر والفن والأدب، وتحولت معه أنماط الحياة الاجتماعية واللقتصادية والسياسية

وقد تميز عصرنا الحالي رغم حداثته وما بعد الحداثوية، بالعودة الى بدايات الحضارات الانسانية مما ترتب عليها التقارب بين الفنون المختلفة وشبه العالم بالبرتقالة الذابلة التي تنكمش كل اطرافها الى بؤرتها

فأفادت الفنون من بعضها البعض، وافادت الدراسات الادبية من الفنون التشكيلية كالرسم والنحت والرقص والموسيقىز كما افادت من العلوم الانسانية من مثل علم النفس والاجتماع والاجناس البشرية النثروبولوجيا والفلسفة

وعلى سبيل المثال لا الحصر

الصورة الشعرية التي وضعها التقاد الغربيون تجمع بين: فن الكلام وفن الرسم

الخيال الكلي والجزئي واللوحة

الشعر فن كلامي مسموع اداته اللغة والصورة فن مرئي اداته الخطوط والالوان

الصورة هي المجاز فما معنى المجاز

التطابق والتماسك والانسجام.

النسق والسياق

النص واشكالياته.

وبعد ذلك كانت مداخلات للمشاركين في الندوة.